الأديب
نبيه القاسم

نبيه القاسم: ناقدٌ مُتعدّد الاتّجاهات والهموم

أليف فرانش

تقوم هذه الدراسة على استعراض مسيرة الكاتب والناقد نبيه القاسم. وتعدّ مسيرة القاسم من هذا المنظار عينة مصغرة عن مسيرة الحركة النقدية العربية الفلسطينية في إسرائيل، تلك التي جاءت متأخرة نسبيا عن المسيرة الإبداعية للأقلية العربية. وعليه ترصد هذه الدراسة مسيرة القاسم، من خلال استعراض إنتاجاته الأدبية، والنقدية ، وتبرز الدور الذي قام به القاسم في تأسيس وترسيخ الحركة النقدية المحليّة. وتتوقف عند المحطات الأساسية في كتاباته، محاولة رسم الخطوط العريضة فيها وتبيان أساليبها والمرجعيات التي استندت إليها.

نبيه القاسم- السيرة

ولد الأديب، والناقد، الدكتور نبيه القاسم في قرية الرامة في الجليل، عام 1945. أنهى الدراسة الابتدائية والثانوية في مدارس بلدته الرامة، لينتسب بعدها إلى الجامعة العبرية في القدس.

حصل في العام 1969 على شهادة المجاز B.A في موضوعي التاريخ العام واللغة العربية، وبعدها على شهادة الماجستير .M.A في اللغة العربية من الجامعة العبرية في القدس في العام 1989 عن أطروحته: **مسيرة الحركة الشعرية العربية المحلية وتطورها من خلال مجلة الجديد**.

تابع القاسم دراسته العليا، وحصل في العام 2002 على شهادة الدكتوراة من جامعة تل أبيب عن أطروحته **الفن الروائي عند عبد الرحمن منيف**، كما وحصل على شهادة دكتوراة ثانية من جامعة سانت بطرسبرغ في روسيا عن أطروحته **الحركة الشعرية العربية في إسرائيل** 1953-1985.

يعمل محاضرًا للأدب العربي في الكلية الأكاديمية العربية للتربية في حيفا، ويشغل منصب نائب مدير الكلّية وعميد الطلبة، ويرأس مركز الأبحاث للتعدّدية الثقافية فيها. القاسم متزوج وله خمسة أبناء.

طريقه الأدبيّة ونشاطه في الكتابة والتأليف:

بدأ الكتابة وهو في المرحلة الابتدائية، ونشر المقالات السياسية والأدبية والاجتماعية العديدة منذ أواسط سنوات الستين من القرن العشرين، وواكب الحركة الأدبية وكان من أوائل من اهتمّ بالنقد الأدبي رافعًا من مكانة النقد والنقاد. وقد عُرف عنه نشاطه ومثابرته في المجالات الأدبيّة، والسياسية، والاجتماعية.

ساهم القاسم وشارك في إصدار العديد من المجلات المحلية والأدبية، وأصدر حتى الآن، واحدًا وثلاثين كتابًا[1]، منها كتابان في الإبداع القصصي، هما:

- **ابتسمي يا قدس** وهي أول مجموعة قصصية يصدرها القاسم. وقد صدرت عام 1978 عن مؤسسة الأسوار في عكا، وصدرت في طبعة ثانية عام 1993 عن مطبعة أبو رحمون في عكا، وفي طبعة ثالثة عام 2007 عن دار الهدى للنشر كريم في كفر قرع.

- **آه يا زمن** وهي ثاني مجموعة قصصية يصدرها نبيه القاسم. وقد صدرت عام 1997 عن مطبعة أبو رحمون في عكا، وفي طبعة ثانية عام 2005 عن دار الهدى للنشر كريم في كفر قرع.

وقد صدرت آه يا زمن باللغة الروسية، ومعها ثلاث قصص من مجموعته القصصية الأولى **ابتسمي يا قدس** عن جامعة سانت بطرسبورغ الحكومية في روسيا، عام 2001.

وتتوزّع كتب القاسم على عدّة اتجاهات[2]:

القسم الأول: كتب تعليمية. وضع فيها الطالب العربي في بؤرة اهتمامه، لهذا تناول نصوصًا من ضمن المنهاج التدريسي فشرحها ويسّرها للطالب. وقد تمحورت هذه الكتب حول موادّ من النصوص الأدبية، والقواعد[3].

---

[1] انظر قائمة مؤلفات القاسم مفصلة في ثبت المراجع في الدراسة. وقد صرّح لي الأديب في المقابلة معه إنه ما زال محافظًا على الوتيرة التي وضعها نصب عينيه، وهي إصدار كتابين كلّ عام، على الأقل.

[2] يلائم هذا التوزيع وجهة نظر الكاتب كما عبر عنها في المقابلة معه. هذا وقد استعنا، هنا، ببعض ما ورد في موقع الأديب عن مؤلفاته. انظر: www.nabih-alkasem.com

[3] انظر: القاسم 1972. القاسم 1989 (ب). القاسم 1991 (أ).

القسم الثاني: كتب تاريخية اجتماعية- سياسية. تناول فيها القضايا السياسية والاجتماعية الساخنة والهامّة. ففي كتابيه عن الدروز، مثلا، تناول مواضيع مختلفة ذات شأن، أهمها: مَن هم الدروز؟ وما هي معتقداتهم؟ ووضعيتهم، إلى جانب دور المثقفين الدروز في الحركة الثقافية المحلية، وغيرها، إلى جانب القضايا السياسية وتفاعلاته مع أحداث الساعة، كما حدث إبّان أزمة وحرب الخليج مطلع تسعينيات القرن الماضي[4].

القسم الثالث: في الإبداع القصصيّ. وهي ستّ عشرة قصّة نشرها القاسم على مرحلتين في مجموعتين، ويدور معظم هذه القصص حول واقع الفلسطينيين في هذه البلاد، وتشمل صورًا عن تفاعلهم إزاء ما يحدث لهم، ولأرضهم، ولوجودهم العام. في مجموعة **ابتسمي يا قدس** نجد ثماني قصص هي: وصيّة ثاكل، لحظات لها معنى، الحطّاب، ابتسمي يا قدس، رسالة إلى فينوس، أوّاه يا غد، لحظة حب، عودة الفارس من رحلة الضياع. وفي المجموعة الثانية **آه يا زمن** نجد ثماني قصص أيضًا، هي: آه يا زمن، مشاهد كل يوم، وتكون لنا راية، عودة روكي، التعويذة، سِيدْنا نِمر، الفأر، قتلته الدجاجات[5].

القسم الرابع: الدراسات. وقد تناول فيها القاسم موضوعات من الأدب العربي بحقبتيه الحديثة والقديمة؛ فكتب عن عباس محمود العقاد في ذكراه، وعن لويس عوض المفكّر الحرّ، من جهة، وعن المجادلة والمناظرة، وعن الشيعة وموقفهم من القرآن الكريم، وغيرها، من جهة ثانية[6].

القسم الخامس: في نقد الرواية. وقد تناول القاسم عدة روايات بالتحليل والنقد فكشف دواخلها، وحمّل رموزها من المعاني والدلالات الشيء الجديد العميق. ومنها كشف الحلم المشارف على التلاشي في رواية محفوظ **يوم قتل الزعيم**، ورائعة إميل حبيبي **الوقائع الغريبة في اختفاء سعيد أبي النحس المتشائل**، وروايتيّ سميح القاسم **إلى الجحيم أيها**

[4] انظر: القاسم 1976. القاسم 1991 (ب). القاسم 1995.

[5] انظر: القاسم 1978. القاسم 1997.

[6] انظر: القاسم 1991 (ج). القاسم 1994 (ب). القاسم 1996 (ب). القاسم 2003 (أ).

الليلك[7]، وَ**ملعقة سمّ ثلاث مرّات يوميًّا**. راصدًا ملامسة الرؤية الثورية الإنسانية[8]، **وظلّ الخيمة** لحنا أبي حنا[9]، ورواية إبراهيم نصرالله **شرفة الهذيان**[10]. وقد وخصّ بعض الروايات النسوية بالدراسة والتحليل، مثل رواية حنان الشيخ **حكايتي حكاية شرح يطول**[11]، ورواية رجاء الصانع **بنات الرياض**[12]، وروايتيّ هيفاء بيطار **امرأة من طابقَين**[13]، وَ**أفراح صغيرة أفراح كبيرة**[14]، كما تناول، من الآداب العالمية، بالدراسة والتحليل، رواية **فيرونيكا تقرّر أن تموت** لباولو كاولو[15]، ورواية **ذاكرة غانياتي الجميلات** لجابريئيل جارسيا ماركيز[16]، وكلهما من رموز الرواية اللاتينية الجنوبية.

القسم السادس: في نقد القصة القصيرة. شدّت القصة القصيرة القاسم لما وجد فيها من إمكانية تؤدي الدور الرسالي للأدب[17]، وتعكس، كعالم مصغّر- ميكروكوسموس، ما يحدث في العالم الواسع الحقيقيّ خارج حدود النصّ. وتجلّي هذا الاهتمام بمنحيين: المنحى الإبداعي، وفيه نجد القاسم يكتب القصة القصيرة، ويصدر مجموعتين قصصيتين يفصل بينهما نحو عقدين من الزمن. والمنحى النقديّ الذي تناول فيه القاسم عددًا كبيرًا من القصص القصيرة التي أبدعها كتّاب فلسطينيون بالأساس كتوفيق فيّاض، ومحمد علي

[7] انظر: القاسم 1991 (هـ). القاسم 1993. القاسم 2001. القاسم 2005. القاسم 2011 (أ).

[8] انظر: **المجلة**، لندن، عدد 55 تشرين ثانٍ 2011، وَ**الاتحاد** من 22.10.2011- 10.9.2011.

[9] انظر: أبو منة 2005.

[10] انظر: **الاتحاد** في 16.2.2007 وَ**القدس العربي** في 18.2.2007.

[11] انظر: **القدس العربي** في 20.10.2005.

[12] انظر: **كل العرب** في 12.10.2005.

[13] انظر: **الاتحاد** في 25.5.2007.

[14] انظر: **الاتحاد** في 31.12.2010.

[15] انظر: **الاتحاد** في 21.10.2005 وَ**القدس العربي** في 7.11.2005.

[16] انظر: **كل العرب** في 29.4.2005 وَ**القدس العربي** في 14.5.2005.

[17] ينعكس ذلك في اختيار القاسم لأسماء كتبه، ومنها، على سبيل المثال: **القصة الفلسطينية في مواجهة حزيران**. انظر: القاسم 1989 (أ).

طه، ومحمد نفاع، وزكي درويش، ومحمود شقير، وجمال بنورة، وبحث فيها وكتب عنها المادة النقدية التحليلية[18].

القسم السابع: دراسات في المسرح. خصّص القاسم حيزًا من كتاباته للمسرح، فكتب عن بعض الأعمال المسرحية المحلية، منوّهًا إلى دور المسرح في تحقيق العدالة الاجتماعية والسياسية والتاريخية، وإحداث التغيير المنشود[19].

القسم الثامن: في نقد الشعر. إضافة إلى الدور الذي رأى القاسم فيه ما يؤديه النص النثري، فقد رأى أيضًا دورًا رياديًا للشعر متجسدًا في القصيدة المقاتلة، المقاوِمة، المدافعة، الناطقة بهموم الناس وأمنياتهم، العاكسة لأفراحهم وأحزانهم، الناقلة تفاؤلهم أو تشاؤمهم. وانطلاقًا من هذا الدور الهام، والرسالة المؤدّاة انبرى يدرس في الشعر الفلسطيني حتى توّج دراسته بأطروحته الثانية لرسالة الدكتوراه التي نشرها بكتابه **الحركة الشعرية الفلسطينية في بلادنا**[20]. وتناول فيه شعر عدد من الشعراء نذكر منهم: حنا أبا حنا، توفيق زيّاد، راشد حسين، محمود درويش، سميح القاسم، عيسى لوباني، عصام العبّاسيّ، سالم جبران، إضافة إلى العديد من الكتب النقدية التي تناول فيها قصائد ودواوين لمزيد من الشعراء الفلسطينيين وغير الفلسطينيين كنزار قبّاني، كامل الشناوي، نزيه خير، حسين مهنا، شكيب جهشان، علي الخليليّ، فهد أبي خضرة، نداء خوري[21].

[18] انظر: القاسم 1979. القاسم 1987 (أ). القاسم 1989 (أ). القاسم 2001. القاسم 2007. القاسم 2010 (ب).

[19] انظر: القاسم 1994 (أ).

[20] القاسم 2005.

[21] انظر: القاسم 1987 (ب). القاسم 1991 (د). القاسم 1994 (ب). القاسم 2003 (ب). القاسم 2010 (أ).

القسم التاسع: في النقد العام. في هذه الكتب أورد القاسم ما يجول في فكره من مواقف وأفكار ورؤية حيال إبداعات أدبية، أو مقالات نقدية، أو مواقف لمبدعين، أو أحداث أدبية-ثقافية. وقد تناولها بالتعليق والتحليل والنقد[22].

القسم العاشر: في البحث الأكاديمي. وتناول في دراساته هذه الفن الروائي عند عبد الرحمن منيف[23]، وتطوّر الحركة الشعرية العربية داخل إسرائيل[24]، والرواية التاريخية عند نجيب محفوظ[25]، وموقف السيرة النبوية من اليهود والتوراة[26]، ولغز إخوان الصفا وخلان الوفا، ومسرح خيال الظل، وأدب الفرج بعد الشدة[27].

الجوائز والمشاركات الأدبيّة

حصل عام 1993 على جائزة الإبداع، وفي عام 2008 حصل على جائزة الإبداع للمرة الثانية.

كما قامت مؤسسة الأسوار للثقافة الوطنية في عكا بتكريمه في الأول من آذار عام 1992، وحصل على درع وزارة الثقافية الفلسطينية وبلدية قلقيلية في مهرجان تكريم شعراء ومبدعي فلسطين في أيار 1999، وعلى تكريم من وزارة الثقافة الفلسطينية ومحافظة طولكرم في تموز عام 2000.

-شارك القاسم في مؤتمرات وأيّام دراسيّة عالميّة ومحليّة عديدة منذ عام 1998 حتى اليوم، تزيد عن عشرين مشاركة في مختلف المواضيع الأدبية والاجتماعيّة والثقافيّة والسياسيّة.

---

[22] انظر: القاسم 1996 (أ). القاسم 2008. القاسم 2009. القاسم 2011 (ب).

[23] وله في ذلك كتاب يحمل الاسم نفسه.

[24] انظر الملاحظة السابقة.

[25] انظر الملاحظة السابقة أعلاه.

[26] انظر الملاحظة السابقة أعلاه.

[27] انظر: القاسم 1991 (ب). القاسم 1993. القاسم 2003 (أ). القاسم 2003 (ب). القاسم 2005.

نبيه القاسم- المسيرة

شهد المجتمع الفلسطينيّ عام 1948 زلزالا أصاب جميع نواحي حياته، وتطلّب تعاملا جديدًا مع واقع جديد، كان من الصعوبة تحقيقه؛ لهذا فقد احتاج الأمر سنوات كثيرة ريثما تسنّى التأقلم، أو إعادة صياغة التوجهات والمسمّيات. وكان النقد الأدبي أحد هذه المجالات التي تأخّر ظهورها في الساحة الأدبية الفلسطينية، على الرغم من الإنتاج الأدبي الذي حاول مواكبة السيرة الفلسطينية الجديدة. وقد كان لصحيفة **الاتحاد**، ولمجلة **الجديد** دور فاعل، ومساهمة كبيرة في مأسسة النقد الأدبي الفلسطيني، على الرغم من الانتماء الأيديولوجي والإطار السياسي. وبرز من على صفحاتهما عدّة أدباء، اختار بعضهم النقد طريقًا يؤدون فيه واجبًا أدبيًا ووطنيًا، كان من بينهم الناقد والكاتب نبيه القاسم.

لقد تبنّى القاسم في كتاباته ومواقفه الهمّ الفلسطينيّ بروافده المختلفة، من الحركة الأدبّية إلى الحراك السياسي، مرورًا بالمشهد الاجتماعي للأقلّية العربيّة في إسرائيل بجميع أطيافها ومركّباتها الطائفية والمذهبية، دون إهمال ما يحدث في المجتمع الإسرائيلي بشكل عام؛ فأتت كتاباته لترصد ما يستجدّ على الساحات المختلفة، إضافة إلى التحليل، والتنويه الذي كان في الكثير من المرات مهمازًا لفت نظر الباقين إلى الموضوع الذي تناوله، أو الشخصية التي يكتب عنها، لتغدو كتابات القاسم مشهدًا بانوراميًا يميط اللثام عن ذاك الموضوع، أو تلك الشخصية بما فعلت أو أنتجت، أو في مرثيتها؛ فيفتح العيون والأذهان مشرّعًا، بذلك، أفقًا جديدًا للتعامل، ممأسسًا لمعيار جديد في التعاطي، مساهمًا ليس في طرح المواقف فقط، بل وفي صيغة تبنيها. ومن تتبعنا لكتابات القاسم وجدنا أنها ترتكز على ثلاث ركائز أساسية، تشكل مناهل التدفق الإبداعي لديه، وتؤلّف محاور الانطلاق الجوهرية في طروحاته وتحليلاته واهتماماته المتعدّدة. هذه الركائز هي:

- الالتزام الأيديولوجي- الفكري
- الانتماء الوطني- القوميّ
- التفاعل الإنساني- العالمي

هذه الركائز مجتمعة، والتي أطلقنا عليها الاسم الإيحائي الجناسيّ "مركبات القاسم المشترك" هي التي أفرزت المنحى العام في كتابات القاسم، بتوجهاته المتنوّعة، وتفرّعات موضوعاته، وبحضور تلك المسحة الأبوية في تناوله لنصوص المواهب الواعدة، أو مراثيه المودّعة، أو حتى عند رغبته في تسجيل ضعف، أو عيب، أو نقص في أحد النصوص.

لهذا أتت كتاباته انعكاسًا صادقًا لهذه المحاور التي تشابكت وتمازجت لينتج عنها إنتاج أدبيّ- سياسي- اجتماعي عالج قضايا الناس، وتناول إنتاجات الكتاب والشعراء، وتطرّق إلى المستجدات المتتابعة. وفي انتماءات القاسم يكتب دلّة في مقالة عن كتابه **مواقف وآراء وأحلام**[28]، يقول: "إن القارئ لهذا الكتاب لا بد أن يلمس مدى تعلق المؤلف بالفكر اليساري التقدمي أولاً، ثم بعروبته التي يعتز بها ثانياً وبوطنيته الصادقة ثالثاً. وهو يعتز بكونه إنساناً فلسطينياً يعيش مأساة شعبه... قد تعلمت من كتابك هذا أمورًا كثيرة في النقد أولا وفي الفكر التقدمي ثانياً وفي الوطنية الحقّة وفي محاولة تحقيق الذات "[29].

وعن تأثير الأيديولوجية الاشتراكية وانعكاسها في كتاباته تقول عالية القاسم- أبو الريش: "كما وتجدر الإشارة إلى تأثر كاتبنا بالفكر الاشتراكي وبالواقعية الاشتراكية وانخراطه لسنوات في صفوف الحزب الشيوعي، والتي تجعل الكاتب جزءا لا يتجزأ في حياة النضال السياسي والاجتماعي والطبقي وبالتالي التحدث بلسان الطبقات الفقيرة والمستغلة والوقوف إلى جانبها والانحياز إليها"[30]. وهذا ما يؤكده حسن أيضًا في قوله: "ينطلق نبيه القاسم في كتاباته من رؤية أيديولوجية وسياسية واجتماعية منبعها الفكر الاشتراكي التقدمي العلمي، ويرى في العملية النقدية أداة تحريضية هامة لتعميق الوعي السياسي وتثوير الناس ودعوتهم

[28] القاسم 2008.

[29] دلّة 2009.

[30] القاسم- أبو الريش، ص 252.

للمشاركة في العمل النضالي الوطني ومواجهة سياسة القهر القومي والطبقي"[31]، وهذا ما يراه القاسم نفسه، ويصرّح به[32]، ويعلنه في كتاباته وأحاديثه[33].

أمّا انتماؤه القوميّ العربي، ومنه انتماؤه الوطني الفلسطينيّ، فقد تجلّى واضحًا في كتاباته؛ فالنصّ العربي لديه عابر للحدود، والمبدع العربي أخ للمبدع العربي، والقارئ العربي مرآة لهذا الوطن الكبير. لهذا كتب عن المبدع العربي كما كتب عن المبدع الفلسطيني، والفلسطيني المحلّيّ؛ فكلّهم لديه ابن لعراقة ثقافة الضاد. ولعل أكبر تعبير يعكس هذا المركّب في شخصية القاسم الشخص والأديب ما كتبه بنفسه في حالة تجمع ما بين الفخر والحسرة: "أمتنا العربية التي حملت مشعل الحضارة الإنسانية وأعطت للبشرية أرقى ما وصل إليه العقل البشريّ طوال قرون عديدة، تنكفئ على نفسها وترتاح إلى كسلها وترنو إلى غيرها وتتدثر بثياب الماضي وتنتظر الفرج من العالي ولا تجد عندها وقتا لغير انشغال أفرادها بتأمين لقمة العيش. يتغنى حكامها بالأمجاد والانتصارات ليواروا ذلّ الهزائم ويضمنوا استقرار حكمهم واستمراره في أولادهم"[34].

وعن تفاعله الإنسانيّ العالمي نجد القاسم حريصًا على التواصل الإنسانيّ، وعلى معاملة الإنسان كإنسان دونما تأطير أو تجزئة وفقًا لاعتبارات فئوية أو انتمائية؛ لهذا فقد شدّت انتباهه الثقافات المختلفة، ودغدغت فكرَهُ فكرة الانسجام والتناغم بين الحضارات، فكان أن جلبها ووضعها على طاولته النقدية- الفكرية، واستحضر رموزها، وكشف عنها ما لم يعرفه القارئ، فكان ذاك الصوت البشري الإنساني الصارخ كأنه يقول: "كلّنا بشر، على

[31] حسن 2010.

[32] مما ذكره لي الأديب، أنه كان قد بدأ بكتابة مشروع روائيّ، لكنه وبعد أن قرأ كتابات الروائي الإنجليزي كولن ويلسون، اكتشف أنّ الرواية لا بد لها من أن تحمل رسالة مؤدلجة؛ فقام ومزّق ما كتبه ضمن المشروع الروائي، ولم يعد له، بعد.

[33] أكّد الأديب في المقابلة التي أجريتها معه على دور الناقد والأديب ليس في الجانب الأدبي فقط، بل وفي التوجيه، والحثّ، وبثّ الرؤيا الثوريّة والمؤدلجة.

[34] القاسم 2008، ص 211.

الرغم من اختلافاتنا، فتعالوا نتعارف"، ولعل في ما كتبه خير دليل على ذلك: "لكن هذه الحضارة الموحّدة بين جميع شعوب المعمورة والمستهلكين لها... لم تستطع أن تمحو الاختلاف الكبير والمفرّق بين الثقافات المتعدّدة والمختلفة والمتميزة في هذا العالم. وهذا الاختلاف يبرز بشكل كبير في التنوّع الأدبيّ والفكريّ والفنيّ، ولم تعد السيطرة لنمط واحد... وإنما أصبح المئات والآلاف من كلّ أنحاء العالم يشاركون في الإبداع وفي التميّز والتفرّد، وهذا النموّ في التعدّد الثقافي والفكري والفني على مستوى العالم كلّه، وحاجة الواحد للتعايش مع الآخر أخذت تستدعي، وتلحّ للإسراع في زيادة التعارف والتخاطب والتعاون والتعايش"[35]. هذا هو القاسم نفسه الذي صرخ ألمًا مناشدًا وقف الحروبات: "الذي يؤلمني ويستصرخني ويثيرني هذا الذي تخلّفه الحرب من قتل وتشريد وتجويع وتدمير لكلّ مظاهر الإنسانية في الإنسان"[36].

وقد تآلفت هذه الروافد- المركّبات منسجمة في شخصية القاسم؛ ليجندها في صياغات فكرية عالج فيها قضايا عدّة، على مدى سنين طويلة، وعلى صفحات الصحف والمجلات الثقافية، والكتب التي جمعت كتاباته والتي يمكننا أن نعرضها في مسارين رئيسيين أسميناهما:

- الهمّ الأدبيّ- الثقافيّ
- الهمّ السياسيّ- الاجتماعيّ

التصدّي للهمّ الأدبي- الثقافيّ: القاسم ناقدًا أدبيًّا

ينقسم تعاطي القاسم بشؤون الهمّ الأدبيّ إلى مجالين رئيسيين: الأول هو المجال الأدبي من تأليف وتحليل ونقد ودراسات وتحاورات ومحاضرات ومداخلات وكتابات صحافية. والثاني يرتبط بالمجال الثقافي الأوسع ونعني الفنون، لا سيما الفن المسرحي الذي استهوى القاسم

[35] المصدر السابق، 224.

[36] المصدر السابق، ص 253-254.

لما فيه من إبداع، وقدرة على إيصال الرسالة المرجوة، وطاقة على إحداث التغيير المتوخى، فكتب عنه وعن المتعاطين به من مؤلفين وممثلين ومخرجين، تناسبًا لما قاله الفيلسوف والمسرحي الفرنسي فولتير عام 1759: "في المسرح وحده تجتمع الأمة؛ ويتكون فكر الشباب وذوقه"[37].

1- المجال الأدبيّ:

أفرزت الأحداث التاريخية التي مرّ بها الفلسطينيون إبداعات أدبية استمدت روحها من الطاقات الكامنة في المواهب التي استعرت فيها اللوعة والمشاعر ممتزجة بالفكر والرؤيا؛ فجاء الإبداع الفلسطينيّ نثرًا وشعرًا يروي قصة الأرض والإنسان، ويحاسب التاريخ، والذات الفردية والجمعية، والأخ الشقيق، والآخر العدوّ، والصمت المزعج.

وفي الوقت الذي انبرت فيه المواهب والأقلام تُعمل اجتهاداتها في الأنواع الأدبية النثرية التخييلية كالقصة والرواية والمسرحية، أو الشعرية كالقصيدة بأشكالها المختلفة: عمودية، قصيدة التفعيلة، قصيدة النثر، اختار القاسم الولوج في شعاب النقد الأدبي بكل ثقل أعبائه مصبًا لفكره ومعرفته ولغته، وهو مسلك أشدّ وعورة وخطورة ومسؤولية من الطرق المعهودة؛ وفي ذلك يقول دلّة: "ولذلك فهو [أي القاسم] يقف اليوم في طليعة النقاد في بلادنا"[38]. وهذا ما يؤكّده طه أيضًا بقوله: "ونبيه القاسم ناقد جاد نشيط رافقَ حركتنا الشعرية والنقدية منذ ربع قرن... بل هو أكثر النقاد والأدباء نشاطًا واجتهادًا ومتابعة... وهو ناقد احتل مكانته الأصلية المرموقة بجدارة"[39].

وقد اهتم القاسم بإظهار الجوانب الخفية في النصوص التي تناولها "بغربالِه"، إلى جانب النواحي الظاهرة، أو البادية للعيان، أو تلك التي عُرف المبدع بتعاطيها. القاسم أخذ على عاتقه دور المنقب عن الذهب في "إلدورادو" النص، ولم يبخل بجهد، أو بوقت، أو بدأب

[37] انظر: مظفر 2010.

[38] دلّة 2010.

[39] طه 2007، ص 136-133.

متناولا أدوات التنقيب، شاهرا إياها في وجه الغموض الذي كان يكتنف النصّ أو التجاهل الذي كان يعاني منه النص، وأحيانًا كاتبه، كاشفا ما لم يكشف، منوها إلى "البئر التي مرّ عنها الآخرون دون أن يشربوا منها، أو دون أن يلقوا بها حجرًا"[40].

ولم يتوقّف همّ القاسم الأدبيّ عند حدود المكان أو الزمان؛ فالمكان عنده تجاوز حدود قريته، أو مدينته، أو مجتمعه الفلسطينيّ ضمن حدود العام 48، بل تخطاه إلى أبعد من ذلك بكثير، مرورًا بنطاقين على جانب أكبر من السعة والاستيعاب؛ فجاء الهمّ الأدبيّ شاملا عابرًا للأشخاص، والأقوام واللغات والحدود، موزّعًا على ثلاثة أصعدة تتكامل فيما بينها، سنعرض لها عما قليل، أمّا الزمان فتجاوزه رجوعًا من الزمن المعاصر إلى الماضي ليغوص في الأدب القديم، وينبش في مؤلفات قديمة، أو ظواهر عهدتها الثقافة العربية، أو يتناول أسئلة كانت تبحث في فضاء الانتظار عن إجابات تشفي الإدراك وتحترم الذهن.

- تخطّي حدود المكان:

تعامل القاسم مع الأدب الحديث باتجاهات ثلاثة، حاول، من خلالها، أن يركّب الفسيفساء الأدبيّ لدى القارئ العربيّ، مضيفًا له الكثير من المعلومات، مجيبًا على العديد من التساؤلات، ميسرًا للنصوص لصوق المعاني. وقد جاءت هذه الاتجاهات على النحو التالي:

أ- الحركة الأدبيّة الفلسطينيّة داخل وخارج حدود 1948

الأدب الفلسطيني بنظر القاسم، لا يتجزأ تبعًا للحدود السياسية - الجغرافية أو التاريخية، ولا يتوقّف في الإشارات الضوئية التي ترسمها المعاهدات والاتفاقيات السياسية؛ ولا يبدّل هويته بتبدّل المسميات؛ فالأدب الفلسطيني، بعرفه، هو ما تنتجه المواهب المنتمية إلى الشعب الفلسطيني، المتشرّبه همّه وهم الأرض والتراب، همّ القرى والمدن التي بقيت، أو تلك التي هُجر أهلها وبُدلت أسماؤها، دون اعتبار إلى المكان الذي تقطنه، أو الجهة التي

[40] راجع قصيدة "البئر المهجورة" ليوسف الخال.

ألقتها بها الرياح النازحة. وهذا ما يؤكده حسن في كتابته عن كتابات القاسم: "ويؤكد نبيه القاسم عددا من الحقائق التي تجاهلتها الدراسات والكتب عن أدبنا الفلسطيني داخل إسرائيل منها أن الشعر الفلسطيني بدأ بعد عام النكبة 1948 وأخذ يتطور تدريجيًا، واستطاع اللحاق بركب الحركة الأدبية العربية، وأن الحركة الأدبية الفلسطينية لم تتحرك في فضاء مهجور وإنما وجدت نفسها جزءا لا يتجزأ من الأدب في الأقطار العربية، المبدع الفلسطيني لم يتعام عن الواقع المعيش ولم يفقد البوصلة، وتعامل مع هذا الواقع تعاملاً إنسانيًا، وأن الحركة الأدبية الفلسطينية قدمت أسماء تميزت بإبداعها وعطائها وتفرّدها"[41].

وعن عدم تجزئة الأدب الفلسطينيّ، والتعامل معه كوحدة واحدة متماسكة، نورد، على سبيل المثال، لا الحصر، مضامين كتابه **مراودة النص**[42] الذي يتناول فيه نصوصًا روائية وقصصية لثلاثة عشر مُبدعاً فلسطينياً معروفاً هم (حسب ترتيب الكتاب): جبرا إبراهيم جبرا- عن روايته **البحث عن وليد مسعود**، سحر خليفة- عن روايتها **ميراث**، يحيى يخلف- عن روايته **نهر يستحمّ في البحيرة**، محمود شقير- عن سيرته الذاتية **ظل آخر للمدينة**، ليانة بدر- عن روايتها **نجوم أريحا وَ عين المرآة**، رجاء بكرية- عن روايتها **مزامير لأيلول**، حسين مهنا- عن كتابه **على سرير أبيض**، إميل حبيبي- عن روايته **سرايا بنت الغول**، أكرم هنية- عن مجموعته القصصية **طقوس لليوم الذي جاء والذي سيجيء**، وقصص من مجموعات سابقة، محمد علي طه- عن مجموعته القصصية **النخلة المائلة**، محمد نفاع ولغز القصّة، زكي درويش- عن مجموعته القصصية **الجياد**، توفيق زياد- عن مجموعته القصصية **حال الدنيا**، كما يُناقش آراء الناقد فيصل درَّاج حولَ الأدب الفلسطيني ويُلقي ضوءًا على آراء ومواقف عيسى لوباني في الشعر المحلي في بداية الستينات[43].

[41] حسن 2010.

[42] القاسم 2001.

[43] راجع، مقالة محمد علي طه عن كتاب القاسم **مراودة النص** في: طه 2007، ص 139- 137.

وهذا ما يشير إليه حسن في معرض حديثه عن كتاب **الحركة الشعرية الفلسطينية في بلادنا**[44]: وهو الكتاب الذي يؤرخ لمسيرة الحركة الشعرية للأقلية العربية في الداخل: "نبيه القاسم من الناشطين في مجال النقد والدراسة الأدبية والقصة القصيرة. عرفته حركتنا الثقافية الفلسطينية من خلال كتاباته القصصية ودراساته النقدية وكتبه المتعددة والمتنوعة؛ فهو يمارس الكتابة الإبداعية والنقدية منذ أوائل السبعينات، وقد نشر الكثير من القصص القصيرة والدراسات والأبحاث الأدبية التي تناولت الحركة الثقافية والأدبية في الداخل الفلسطيني"[45].

وقد وجدنا القاسمَ، إضافة إلى كونه مهتمًا ومحبًّا للمعرفة، حريصًا على الأدب الفلسطيني يلاحق الزمن في رصد النصوص، ومعالجتها، ملقيًا بالضوء على خفاياها، محملا إياها المعاني التي غربت عن البال، أو تلك التي مرّ عليها القارئ دون أن يعي سبب وجودها، أو يدرك كنهها، أو يجمع رموزها المبعثرة مكونا لوحة واحدة واضحة. وهو، إن تمعّنا بالنصوص وبمبدعيها، لا يميّز بين أدب فلسطيني وآخر، وإن كان خصّص بعض دراساته وكتبه للأدب الفلسطينيّ المحلّيّ، دون أن يجزئ الأدب الفلسطيني نفسه. كما ونجده يختزل المحور الزمني بأن يتناول نصوصًا لأدباء عايشوا أزمنة غير متقاربة؛ فالزمن عند القاسم ليس العنصر الحاسم؛ بل إنها مرتبة مخصّصة للنص، فالنص هو الذي يفرض ذاته متخطيًا عتبات الزمان، كما تخطّى عتبات المكان. فكل مبدع فلسطيني ينتمي إلى المكان، وكلّ نصّ فلسطينيّ يدور في مدار الزمن الفلسطينيّ وبينهما لا حدود تفصل بين النصوص أو مبدعيها. وغيرته هذه تدفعه دومًا إلى التأكيد على مكانة هذا الأدب، عربيًا وعالميًا، وهذا ما تشير إليه موسى في مقالتها عن كتابه **الحركة الشعرية الفلسطينية في بلادنا**: "يبدو أنّ المؤلف في استعراضه للحركة الشعرية الفلسطينية منذ الاحتلال 1948، يحاول البرهنة على خطأ

[44] القاسم 2003 (ب).

[45] حسن 2010.

التصورات التي تتنكّر لهذا الأدب، أو تقلّل من قيمة إسهامه في المحافظة على الهوية القومية، وهو يجهد لوضع تلك التواريخ في سياق من التدرج الذي مرّ به الشعر عمومًا..."[46].

ومن هذا المنطلق يقول طه: "فنبيه القاسم الناقد الجاد رافقَ مسيرة حركتنا الأدبية شعرًا وقصة ورواية منذ ثلاثينَ عامًا وهو أكثر النقاد مُتابعة لنتاجنا الأدبي ولا شكَّ أنَّ مقالاته النقدية ودراساته الأدبية مع زملائه النقاد: أنطوان شلحت، د. إبراهيم طه، د. نعيم عرايدي، د. محمود غنايم، د. فاروق مواسي ورياض كامل ساهمت في دفع وتطوير الحركة الأدبية وإلقاء الضوء على النتاج الأدبي"[47]. وطه ليس وحيدًا في هذا الرأي، بل يشاركه فيه دلّة بقوله: "الدكتور نبيه القاسم أديب وكاتب وناقد ومفكر وملاحق للحركة الأدبية المحلية منذ عشرات السنين ومتمكن من فن الكلمة بحيث يأخذ القارئ في جولة متنوعة من مختلف المواضيع بأسلوبه الرشيق والممتع في آن واحد"[48]. وفي مقال آخر يعيد دلّة تمسّكه بهذه الرؤية، مشدّدًا على الأداء الذي يقوم به القاسم في سبيل رفع شأن الإنتاج الأدبي الفلسطيني، لا سيما المحلّي منه؛ فيقول في ذلك: "أصدر الدكتور نبيه القاسم حتى الآن العديد من الكتب، تبحث جميعها في الحركة الثقافية والسياسية والاجتماعية في بلادنا، وقدم وما زال كذلك، خدمة كبيرة للحركة الثقافية كما كرّس قسما من مقالاته الكثيرة لنقد ما يصدر من إنتاج أدبي في البلاد"[49].

هذه هي نظرة القاسم إلى هذا الأدب وقد ارتأى أن يواكبه، ينقّب فيه، يغربله، يحلّله، ويقيمه ليقوّمه؛ لأن الفوضى عدو الدقّة، وحليفة التراخي والاندثار. وبذلك يقول: "عندما طلبت من النقاد المحليين أن يهملوا إنتاج نُظّام الشعر وكَتَبة النثر المنفوخين على لا شيء،

[46] موسى 2005.

[47] طه 2007، ص 139- 137.

[48] دلّة 2009.

[49] دلّة 2010.

ويقصروا جهدهم على الإبداع الحقيقي في الشعر والنثر والنقد، أردت أيضًا أن نضع حدًّا لهذه الفوضى في الأدب المحلّيّ ونحجّم كلّ متطاول على لا شيء.."[50].

وفي الرؤية التي وجّهت القاسم لأن يسلك هذا المسلك، ويأخذ على عاتقه مهمّة جادّة تشمل في طياتها أبعادًا عديدة منها الأدبية والمعرفية إضافة إلى الوطنية والإنسانية، يقول القاسم نفسه: "نتخوّف كثيرا على حاضر ومستقبل حركتنا الثقافية، وخاصة في جانبها الأدبي الإبداعي، ولكن ما يجعلني على ثقة بحركتنا الثقافية المحلية أنّ الإبداعَ موجود، قد يتراجع ويتوارى ولكنه يعود بصخب وقوة ويفرض وجودَه كما عند كل الشعوب. وما يزيدني بهذه الثقة هذه الوَفرةُ الجديّةُ في الدراسات الأكاديمية والذاتية التي نشهدُها في السنوات الأخيرة في مختلف مجالات الاهتمامات: الأدب، المجتمع، السياسة، الدين، المرأة ، الفكر، وغيرها. دراسات فيها العُمق والجديّة تفتح آفاقَ الفكر وتشدُّ الآخرين للسعي في طلب المعرفة وتُحرّكُ النوازعَ الخامدةَ في دَواخل الكثيرين"[51].

ويكتب طه عن نقد القاسم واصفًا إيّاه بالموضوعية والشفافية والجدية، فيقول: "حينما قرأتُ المقال أدركت أنني أمام ناقد جاد واعد. ومنذ ذلك الحين وحتى اليوم نشرَ نبيه القاسم عشرات المقالات النقدية حولَ نتاجنا الشعري والقصصي والروائي... وكان وبحق الناقد الوحيد المتابع لحركتنا الأدبية. ناقد جاد ومجتهد لا يكل ولا يتعب ولا ييأس ولا يغضب ولا يُجامل ولا يُحابي بل يكتب ما يؤمن به ويفكّر فيه.. اتهموه ظلماً أنَّه متخصّص بشاعر واحد... والحقيقة أنه عالج نتاج الشعراء الشباب كما عالج نتاج شعرائنا الكبار... واتهموه ظلماً أنه مُتخصِّص بقصص كاتب واحد لكن مراجعة لكتبه النقدية تُثبت بالدَّليل القاطع أنه كتبَ عن جميع القصاصين والروائيين في هذا الوطن الصغير"[52]. ويؤكّد

[50] القاسم 1996 (أ)، ص 67.

[51] القاسم 2009، ص 54.

[52] طه 2007، ص 136- 133.

العطشان ذلك بقوله: "كتب [القاسم] عن الكتّاب الكبار تمامًا مثلما كان أوّل من بادر إلى الكتابة عن كثير من الكتّاب الناشئين والصغار والأعمال الحديثة"[53].

ومن المبدعين الفلسطينيين[54]، كتابًا وشعراء، ومفكرين، ودارسين تناول القاسم، في كتاباته، أسماء كثيرة، نوردها في ما يلي[55]: توفيق فيّاض، محمد علي طه الذي خصّه، لاحقًا، بكتاب كامل تناول فيه إبداعاته[56]، محمد نفاع، زكي درويش، سحر خليفة التي خصّها، لاحقًا، بكتاب كامل تناول فيه إبداعاتها[57]، جمال بنورة، سعود الأسدي، عصام العباسي، هايل عساقلة، علي الخليلي، شكيب جهشان، نظام أيّوب، سامر خير، سليم مخولي، غسان كنفاني، سميح القاسم، فوزي عبدالله، نزيه خير، نعيم عرايدي، نايف سليم، إدمون شحادة، حسين مهنا، علي الصح، محمود الصحّ، شفيق حبيب، فهد أبو خضرة، علي الجريري، نداء خوري، مينا عليان، ليلى علوش، للي كرنيك، فرحات فرحات، مجيد حسيسي، أحمد حسين، إميل حبيبي، عطا لله جبر، جبرا إبراهيم جبرا، يحيى يخلف، محمود شقير، ليانة بدر، رجاء بكرية، أكرم هنية، توفيق زياد، عيسى لوباني، حكم بلعاوي، مصطفى مرار، حنا إبراهيم، محمود عباسي، فاروق مواسي، ناجي ظاهر، جميل السلحوت، عبد اللطيف عقل، عصام خوري، محمد علي سعيد، فهيم أبو ركن، حنا أبو حنا، راشد حسين، محمود درويش، سالم جبران، صبحي شحروري، حنان عوّاد، حبيب بولس، تركي عامر، يوسف سواطري، وهّاب طاهر نصر الدين، إحسان عبّاس، سليمان جبران، حسين حمزة، خالد سنداوي، جوزيف زيدان شويري، ماجد عليان، سلمان عليان،

[53] العطشان 1992.

[54] بفعل العدد الهائل من المقالات التي تناول فيها القاسم إبداع المبدعين الفلسطينيين، ونشرها في كتبه المختلفة، تعذّر إيرادها هنا لضيق المجال، مكتفين بذكر اسم المبدع، آملين أن يتمّ ذلك، في بحث آخر، لما فيه من قيمة أدبية وتاريخية.

[55] ترد الأسماء وفقًا لترتيب ظهورها في كتب القاسم، ووفقًا للتسلسل الزمني لهذه الكتب.

[56] انظر: القاسم 2007.

[57] انظر: القاسم 2011 (أ).

فارس فلاح، نجلاء شهوان، إميل توما، راوية بربارة، زياد خدّاش، سهيل كيوان، علاء حليحل، أحمد بدران، محمود أبو رجب، حسن عبدالله، سلمان فلاح، ميسون أسدي، رشدي الماضي، ميشيل حدّاد، معين حاطوم، كمال عطيلة، مالك صلالحة، كمال إبراهيم، فوّاز حسين. كما وكان له سجالات أدبية مع عدد من النقّاد والباحثين، منهم، إضافة إلى فوزي عبدالله، وفاروق مواسي، وشفيق حبيب، وإدمون شحادة، وفهيم أبو ركن، وناجي ظاهر، وجمال بنورة، وحنا أبي حنا الذين وردت أسماؤهم أعلاه: أنطوان شلحت، جورج نجيب خليل، سلمان مصالحة، عماد حمد، إلياس عطاالله.

ب- النشاط الأدبيّ في العالم العربيّ

يرى نبيه القاسم أنّ الحركة الأدبية الفلسطينية، في مختلف أماكن انبعاثها، وتنوّع روافدها، ومعها النتاج الإبداعي الفلسطيني هما جزء عضوي من المشروع الثقافي العربي، وأن كون الثقافة الفلسطينية جزء لا يتجزأ من الثقافة العربية الواسعة، هي حقيقة لا ينكرها أو يتجاهلها أحد[58]. فهذا عبد الرحمن منيف الأديب العربي الكبير المنحدر من أصول سعودية- عراقية، والذي تنقل في البلدان العربية المختلفة، يحضر في كتابات القاسم؛ فنجده ينعاه في كتابه **مواقف وآراء وأحلام** بمقالة تحمل اسم "بموت منيف فقدنا عرّافة العرب وصوت الضمير الحيّ[59]، ويكتب عنه وعن كتاباته بالذكرى السنوية الأولى لرحيله بمقالة تحمل اسم "أين التاريخ؟ لا أرى إلا ركاما من الأكاذيب والافتراءات!"[60]، ومقالة أخرى تحمل اسم "عبد الرحمن منيف زرقاء يمامة العرب"[61]، وهو الأديب ذاته الذي اختاره القاسم موضوعًا لأطروحته لنَيل لقب الدكتوراه الأولى، والتي نشرها، في ما بعد، في

[58] راجع: القاسم 2003 (ب)، ص 9.

[59] القاسم 2008، ص 76-73.

[60] المصدر السابق، ص 86-77.

[61] المصدر السابق، ص 92- 87.

كتابه **الفن الروائي عند عبد الرحمن منيف**[62]، والذي أضحى، بحدّ ذاته، موضوعًا للبحث والدراسة[63]. ومن المنطقي أن نرى أن هذه الأطروحة ما كانت لتولد لولا التواصل الذهني الذي ربط بين القاسم والمؤلف، والامتداد العضوي بين أبناء الثقافة الواحدة، والتعاطي مع النصوص والإبداع، ووثوق اتصاله ومواكبته لما يحدث على الساحة الأدبية العربية كونه، كفلسطينيّ، لبنة ثابتة في هذا البناء المتماسك.

هكذا كان النشاط الفكري- الثقافي، وبالذات الأدبيّ محطّ اهتمام القاسم، والمحطة التالية من مساهمته النقدية التحليلية، في ترسيخ أسس النقد في الحركة الأدبية الفلسطينية. وفي ذلك يقول دلّة: "ومع هذا التنوّع يجد القارئ لدى الدكتور نبيه حميميّة خاصة في الكثير من المواقف حتى أن القارئ ينفعل معه في مواقف الانفعال ويتضامن معه في مواقف التضامن مع قضية معينة أو كاتب أو أديب ملاحق محليًا أو في العالم العربي الواسع"[64].

ونجده يكتب عن المبدعين العرب معرّفًا القارئ المحلّيّ على هذا الإبداع العربي الذي يستحقّ، بنظره، القراءة والتذويت، طارحًا اسم المبدع والنصّ، بغية مشاركة الآخرين به. ويثير الانتباه سعة اطّلاع القاسم على ما يحدث في العالم العربي من تفاعلات أدبية، وعلى دقة مواكبته لتلك الأحداث، وسرعة تفاعله معها، وكتابته عنها. وبهذا يكون القاسم قد مثّل، حقًا، لبنة حية في جسر التواصل بين الأقلية العربية الفلسطينية في بلادنا والعالم العربي الواسع، وتعامل مع البعد الثقافي والأدبي بمستوى الطرح في العالم العربي، ودون رادع للحدود أو الانغلاق الذهني، فكأنه كتب من عمّان أو القاهرة أو نواكشوط. وهذا ما يؤكّده دلّة مرّة أخرى في مساهمة القاسم الأدبية الكبيرة، ورصده لما يحدث على الساحة الأدبية في العالم العربي: "وهكذا يرسم لنا صورة شاملة – بانورامية- للموقع الثقافي الذي

[62] القاسم 2005.

[63] انظر: درويش 2005.

[64] دلّة 2009.

يعيشه إنساننا العربي من المحيط إلى الخليج كما ذكر على الغلاف الأخير من كتابه. ويضيف "إنها مقالات يتداخل فيها الذاتي بالعامّ"[65].

أمّا المبدعون من أدباء العالم العربي الواسع ومفكّريه الذين تناولهم القاسم في كتاباته فهم كثيرون؛ ففي كتابه **المثقف العربي في مواجهة الواقع**[66] كتب عن نجيب محفوظ في مقالة تحمل اسم "نجيب محفوظ في **يوم قتل الزعيم** والحلم الذي آن له أن يتلاشى"[67]، كما وكتب عنه في كتابه **في محراب الكلمة** في مقالة تحمل اسم "نجيب محفوظ المبدع الذي وضحت له الطريق"[68]، وعن يوسف القعيد في مقالة تحمل اسم "يوسف القعيد والزمن الضائع في روايتيه **بلد المحبوب وَالقلوب البيضاء**"[69]، وفي مقالة ثانية تحمل اسم "يوسف القعيد والقطة فوق خشبة المسرح" وردت في كتابه **في الهم الثقافي**[70]، وعن نزار قبّاني في مقالتين تحمل الأولى اسم "رسالة من الشاعر نزار قباني إلى الرئيس جمال عبد الناصر(x)"[71]، وتحمل الثانية اسم "أين الرؤية الثورية السياسية الواضحة؟(x)"[72]، كما وكتب عنه، في الذكرى السنوية الأولى لرحيله، في كتابه **مواقف وآراء وأحلام** مقالة تحمل اسم "نزار قباني .. هذه الظاهرة الفريدة"[73]، كذلك كتب عنه في مقالتين في كتابه **في محراب الكلمة**، تحمل الأولى اسم "نزار قباني الكاهن المتعبّد في محراب المرأة"[74]، وتحمل

---

[65] دلّة 2009.

[66] القاسم 1994 (ب).

[67] المصدر السابق، ص 25- 5.

[68] القاسم 2009، ص 252- 235.

[69] القاسم 1994 (ب)، ص 43- 26.

[70] القاسم 1996 (أ)، ص 86- 85.

[71] القاسم 1994 (ب)، ص 68- 63.

[72] المصدر السابق، ص 92- 69.

[73] القاسم 2008، ص 126- 121.

[74] القاسم 2009، ص 181- 168.

الثانية اسم "نزار قباني الشاعر الغائب الحاضر أبدًا"[75]، وعن محمود درويش في مقالة تحمل اسم "محمود درويش يقول: وداعا أيتها الحرب وداعا أيها السلام"[76]، وعن عباس محمود العقاد في مقالة تحمل اسم "في ذكرى العقاد"[77]، وعن لويس عوض في مقالة تحمل اسم "آخر الأعمدة التي حملت شعلة الفكر الحر في مصر"[78]، وعن محمد مندور في مقالتين تحمل الأولى اسم "محمد مندور شيخ النقاد"[79]، وتجمل الثانية اسم "محمد مندور المصلح صوت مصر الحقيقي"[80]، وعن كامل الشناوي في مقالة تحمل اسم "كامل الشناوي الشاعر الحزين"[81]، إضافة إلى عبلة الرويني وكوليت خوري كممثلات عن الأدب النسائي[82]. وفي كتابه **في الهمّ الثقافي** كتب عن نصر أبي زيد في مقالة تحمل اسم "هل يكون الدكتور نصر أبو زيد.. آخر المحاربين .. في هذا الزمن الرديء!"[83]، وعن الشاعر الجواهري في مقالة اقرب إلى المرثية تحمل اسم "الجواهري الكبير.. يا خسارة"[84]، وعن يوسف إدريس في مقالة تحمل اسم "يوسف إدريس الفارس الذي رحل"[85]، وعفاف عبد الباري[86]. وفي كتابه **مواقف وآراء وأحلام** يكتب عن الشاعرين الأردني موسى حوامدة والمصريّ أحمد الشهاويّ يناصرهما في

[75] المصدر السابق، ص 191- 182.

[76] القاسم 2008، ص 104- 93.

[77] المصدر السابق، ص 117- 105.

[78] المصدر السابق، ص 130- 118.

[79] المصدر السابق، ص 136- 130.

[80] المصدر السابق، ص 142- 137.

[81] المصدر السابق، ص 151- 143.

[82] انظر، لاحقًا، عن نصير المرأة.

[83] القاسم 1996 (أ)، 17- 10.

[84] المصدر السابق، ص 58- 55.

[85] المصدر السابق، ص 98- 94.

[86] انظر، لاحقًا، عن نصير المرأة.

حرية الكلمة بمقالة تحمل اسم "موسى حوامدة وأحمد الشهاويّ: كلّنا معكما"[87]، ويحاور الشاعر المصري عبد المعطي حجازي بمقالة تحمل اسم "لماذا يغيّر بعض المبدعين الكبار مواقفهم؟"[88]، وعن عبد الرحمن منيف المذكور آنفًا، وعن الشاعر المصريّ محمد أبو دومة بمقالة تحمل اسم "عريس الشعراء محمد أبو دومة"[89]، وعن أدونيس بمقالة تحمل اسم "أدونيس والمنفى الأليم وافتقاد الصديق"[90]، وعن رواية إبراهيم نصرالله **شرفة الهذيان**[91]، وعن رواية حنان الشيخ **حكايتي حكاية شرح يطول**[92]، ورواية رجاء الصانع **بنات الرياض**[93]، وروايتي هيفاء بيطار **امرأة من طابقَين**[94]، وَ**أفراح صغيرة أفراح كبيرة**[95]، وكتب دراسة عن شعر السعودية هيلدا إسماعيل **امرأة تندف شعرًا**[96].

ج- الآداب العالميّة وأدب الآخر

اطلاع القاسم على ما يحدث في الحلبات المختلفة، لا سيما الأدبية منها، مكّنته من أن يقوم بمهمة التناول الوفير والغزير للأدب المحلّيّ، إلى جانب النشاط الأدبي في العالم العربيّ الممتد من المحيط إلى الخليج، غير مهمل لما ينتجه المؤلفون العرب خارج حدود العالم العربي، لا سيما في أوروبا، وإلى جانبهما، فقد تناول الآداب العالميّة فاتحا أمام القارئ المحلّيّ نوافذ يطل من خلالها على المدى العالمي، وما يتفاعل على المنابر الأدبية فيها، جالبًا

[87] القاسم 2008، ص 40- 35.

[88] المصدر السابق، ص 41- 48.

[89] المصدر السابق، ص 120- 115.

[90] المصدر السابق، ص 268- 267.

[91] انظر: **الاتحاد** في 16.2.2007 وَ**القدس العربي** في 18.2.2007.

[92] انظر: **القدس العربي** في 20.10.2005.

[93] انظر: **كل العرب** في 12.10.2005.

[94] انظر: **الاتحاد** في 25.5.2007.

[95] انظر: **الاتحاد** في 31.12.2010.

[96] انظر: **كل العرب** في 21.10.2005 وَ**القدس العربي** في 31.10.2005.

إلى القارئ العربي، أينما تواجد، أسماء جديدة، أو تحليلات جديدة لمؤلفات سمع بها أو قرأ عنها، أو قرأها، مؤكّدًا أن الباحث العربي مطلع، منفتح على الآداب العالمية، مهتمّ بهذه الآداب، ومنسجم مع المنظومة الفكرية الإنسانية العامة، غير منقطع عن العالم خارج نطاق القرية، أو المدينة، أو الطائفة، أو المجتمع. هكذا تجسّدت النزعة الإنسانية التي تشكّل أحد الروافد في الزخم الفكريّ المنساب لدى القاسم، والتي كنا قد أشرنا إليها سابقًا.

وما يلفت النظر، أنّ القاسم لم يتناول الآداب العالمية أو مبدعيها من أوروبا أو أمريكا فقط، بل ونظر إلى الأدب العبري- أدب الآخر نظرة متقبّلة، كتب عن بعض المبدعين فيه، حتى الذين لم يتفق وإياهم على التوجه السياسيّ، أو الموقف الفكريّ؛ ففي كتابه في الهمّ الثقافي يورد تحية للشاعر بنحاس سديه يقول فيها: "الشاعر بنحاس سديه معروف بمواقفه السياسية وعدم عشقه للعرب.. لكنه فاجأ الجميع.."، ويسرد القاسم تفاصيل الموقف، ويورد ما قاله سديه: "ولكنني أطرح أسئلة مثيرة تحتاج إلى إعمال فكر كلّ منا... من يومها لم تبرح الأسئلة المثيرة تلاحقني باحثة عن جواب". فيختتم القاسم تحيّته بالكلمات التي تنبعث منها نزعة إنسانية عارمة: "تحيّتي للشاعر بنحاس سديه، وأرجو أن تتغلّب الإنسانية عند الإنسان حتى لا يظلّ هناك دائن ومدين، وسيّد وعبد، وظالم ومظلوم.."[97]. فكتب في كتابه **مواقف وآراء وأحلام** عن ساسون سوميخ[98]، في مقالتين تحمل الأولى اسم "عاشق بغداد يعود إليها"[99]، وتحمل الثانية اسم "إلى أستاذي ساسون سوميخ: مبروك"[100]، ونتان يوناتان، في مقالة تحمل اسم "تحية للشاعر نتان يونتان.."[101]،

[97] القاسم 1996 (أ)، ص 124- 123.

[98] وإن كان القاسم لا يتعامل مع سوميخ كغريب عن الثقافة العربية، بل كابن لها، وهذا ما يظهر جليا في المقالين. ويقول عنه: "تميّز ساسون سوميخ عن الكثيرين من الذين درسوا الأدب العربي بأنه ينطلق من حبه لهذا الأدب، ويؤمن بانتمائه إليه". انظر: القاسم 2008، ص 155.

[99] القاسم 2008، ص 148- 143.

[100] المصدر السابق، ص 156- 149.

وعن دافيد صيمح، في مقالة تحمل اسم "دافيد صيمح والمساهمة في الفعل الثقافي"[102]، ودالية رابيكوفيتش، وعن فرنسواز ساغان[103]، وأرثر ميلر، في مقالة تحمل اسم "الكاتب الذي تحدّى سطوة السلطة الأمريكية"[104]، كما كتب، كما أسلفنا، عن رواية **فيرونيكا تقرّر أن تموت** لباولو كاولو[105]، ورواية **ذاكرة غانياتي الجميلات** لجابرييل جارسيا ماركيز[106] ، وعن رواية **حماية** للكاتب العبريّ سامي ميخائيل[107].

- تخطّي حدود الزمان

باهتمامه بالأدب القديم يكون القاسم قد تخطى الاهتمام الراهن الآني بالزمن المعاصر وآدابه، إيمانًا منه بالتواصل بين الحقب الزمنية المختلفة للثقافة العربية التي يراها نسيجًا واحدًا لا تشوبه التجزئة مكانًا أو زمانًا؛ وعليه جاءت دراساته في الأدب القديم مؤكدة على هذا التوجه. وله في ذلك إسهامات عديدة، منها: دراسة وافية في إخوان الصفا شملت التعريف بهم، واستعراض رسائلهم، والجهة المعنوَنة، وعددها، ومبناها، ومصدر اسمهم، وغايتهم: الدينية، والاجتماعية، والسياسية، وانتمائهم، ومصادرهم، وموقف أبناء عصرهم منهم، وأخرى في الشيعة وموقفهم من القرآن الكريم، وأخرى عن المجادلة والمناظرة، وعن خيال الظلّ، وكذلك فقد بحث في تطوّر البلاغة العربية، وغيرها، جمعها في كتاب **دراسات في التراث العربي**[108]، بعد أن كان قد أصدر الدراسة ذاتها منفردة في كتاب هو **لغز إخوان**

---

[101] المصدر السابق، ص 162- 157.

[102] القاسم 2009، ص 234- 201. وينطبق ما ورد في الملاحظة رقم (103) على دافيد صيمح أيضًا.

[103] انظر، لاحقًا، نصير المرأة.

[104] القاسم 2008، ص 180- 173.

[105] انظر: **الاتحاد** في 21.10.2005 وَ**القدس العربي** في 7.11.2005.

[106] انظر: **كل العرب** في 29.4.2005 وَ**القدس العربي** في 14.5.2005.

[107] انظر: الأسوار- نشرة لمرة واحدة 1978.

[108] انظر: القاسم 1996 (ب).

الصفا[109]، ودراسة أخرى عن موقف السيرة النبوية من التوراة واليهود وضعها في كتاب يحمل الاسم نفسه[110].

هكذا، لم يبخل القاسم بدراساته على التراث العربي[111]، فترك له حيزًا في اهتماماته، عارضًا ما يراه، كاشفًا للقارئ رأيًا أو موقفًا حيال موضوع بدا غامضًا أو ضبابيًا إلى حين، طالبًا للقارئ سعة المعرفة، وللأدب العربي سعة الانتشار والرسوخ.

2- المجال الثقافيّ:

وفي الفن والثقافة كتب القاسم مقالات عدة، تطرق فيها إلى العديد من النشاطات الثقافية التي شهدتها الساحة المحلية من مهرجانات للإبداع، وندوات ثقافية ومسرحيات. وقد خصّ المسرح، كما أسلفنا، بمقالات نقدية تناول فيها العديد من العروض المسرحية، من نواحٍ عدة، بمقالات متفرقة كان من شدة اهتمامه بالحركة المسرحية أن خصّص لها كتابًا كاملا هو في **الإبداع المسرحي الفلسطيني**[112]، افتتحه بمقدمة عن "ما بين الكتابة المسرحية والعرض على المسرح"، ثم تناول فيه المسرحيات التالية: **الناطور** لسليم مخولي، **العمر ليلة واحدة** لمحمود عباسي، **الخروج من دائرة الضوء الأحمر** لأدمون شحادة، مسرحيتيّ **الموت الأكبر** وَ **لا** لزكي درويش، **لكع بن لكع** لإميل حبيبي، **كان الموت ونحن على ميعاد** لجمال بنورة، **رجال في الشمس** وَ **الأعمى والأطرش** لغسان كنفاني، ومسرحيات **حكايات الصلاة الأخرى، عنتر في الساحة خيّال، أغنية مشوّه حرب من الوحدة أ، العصافير، وَاللص** لتوفيق الحكيم.

---

[109] انظر: القاسم 1991 (ج).

[110] نظر: القاسم 2003 (أ).

[111] راجع دراسة أنور محمّد عن كتاب القاسم **موقف السيرة النبوية من التوراة واليهود**، في: محمّد 2004.

[112] القاسم، 1994 (أ).

ويضاف ما ورد في الكتاب إلى المقالات التي نشرها في كتب نقدية أخرى، والتي سنوردها في ما يلي: عن مسرحية **عامود الكهرباء** بمقالة تحمل اسم "مسرحية **عامود الكهرباء** وهذا التطاول.. لماذا؟"[113]، وعن مسرحية **الزاروب** بمقالة تحمل اسم "زواريب عكا تستعيد ماضيها مع مسرحية **الزاروب**"[114]، وعن **ملحمة جلجاميش** بمقالة تحمل اسم "**ملحمة جلجاميش** على مسرح اللاز في عكا"[115]، وعن مسلسل "باب الحارة" بمقالة تحمل اسم "مسرحية باب الحارة وتعرية الذات"[116]، وعن مسرحية "**حكي قرايا وحكي سرايا**" بمقالة تحمل اسم " مسرحية **حكي قرايا وحكي سرايا** والوعد الذي لا يخيب"[117]. وأشير هنا إلى البحث الذي قام به القاسم عن "خيال الظل" باعتباره أول مسرح عند العرب بمقالة تحمل اسم "خيال الظل أوّل مسرح عرفه العرب"[118].

وإلى جانب المسرح، تناول القاسم الأحداث الثقافية المتنوعة، ومنها فقد كتب عن مهرجان المبدعات في مقالة تحمل اسم "على هوامش المهرجان الثاني للمبدعات"[119]، وعن النشاطات الثقافية كتب في مقالة تحمل اسم "النشاطات الثقافية الأخيرة"[120].

الاهتمامات المتعدّدة

هكذا، وبنظرة بانوراميّة لكتابات القاسم وأحاديثه الصحافية، يمكننا أن نخلص إلى أن القاسم، وخلال مسيرة إنتاجه الطويلة، استطاع من خلال دور الناقد والكاتب أن يجمع ما بين الفكر والشعور، اللغة والحضور؛ لنجده مهتمًا المجالات المختلفة وجهات عدّة، منها:

[113] القاسم 1996 (أ)، ص 127- 125.

[114] القاسم 2008، ص 66- 57.

[115] المصدر السابق، ص 142- 139.

[116] المصدر السابق، ص 204- 197.

[117] المصدر السابق، ص 210- 205.

[118] القاسم 1996 (ب)، ص 72- 63.

[119] القاسم 1996 (أ)، ص 84- 82.

[120] المصدر السابق، ص 120- 118.

الأرض، الشعب، المرأة، التراث، المعرفة، الموهبة، وغير ذلك، وسنكتفي بالإشارة إلى بعض منها:

الاهتمام بالأرض:

شغلت الأرض، وتشغل، هاجسًا حيًّا لدى القاسم، لا سيما في مؤلفاته القصصيّة؛ فكتب عن ارتباط الإنسان بأرضه، خاصة الإنسان الفلسطيني الذي وجد نفسه إما مغرّبًا عن أرضه، أو غريبًا في أرضه، وهو يرى واقعه يتغيّر، ومعالم قريته أو مدينته يتغيّر، والأسماء تتغيّر، ويُفرض واقع جديد يجد فيه الفلسطينيّ نفسه مسلوبًا من كلّ شيء، خاصة إرادته، قبل زيتونته أو بيته، يصرخ متألمًا، وهو يشعر بغدر الزمان والآخرين. وهنا لا يفصل القاسم كثيرا بين شقي البرتقالة، بل يتعامل مع الأرض ذاتها كروح واحدة، وكيان واحد، فهذا شأن لا يمكن تجزئته، لأن حب الأرض شعور شامل، والألم لفراقها شامل، الخوف عليها أو من تركها مكرها شامل أيضا.

وقد ظهرت الأرض بحضورها القويّ في مجموعتيه القصصيّتين: **ابتسمي يا قدس**[121]، **آه يا زمن**[122]، إضافة إلى ذكرها والحديث عنها في سياق كتاباته النقدية. في ذلك يقول أبو شمسية في دراسته لقصص القاسم: "قصة الفأر (ص 59-69) قصة رمزيّة يعبّر فيها الكاتب عن أطماع العدو الصهيوني في أرض الوطن الفلسطيني... ويشبه قصة "الفأر" في رمزيتها القريبة ودلالتها على أطماع الصهيونية في فلسطين قصة أخرى بعنوان "قتلته الدجاجات" (1975) ص (71-81)"[123]. ويضيف في مكان لاحق في مقالته: "وما دُمنا نتحدث عن الصراع على الأرض بين العرب والإسرائيليين، فإنّه يصبح ملائماً أن نُشير هنا إلى قصتين أخريين لهما علاقة بهذا الموضوع، وإنْ تباعدتا في تاريخ كتابتهما، وهما: "سيدنا نمر" (1975) (ص 45-58) و "عودة روكي" (1993) (ص 29-36). أمّا أولاهما فتدور حول التمسّك بالأرض

[121] القاسم 1978.

[122] القاسم 1997.

[123] أبو شمسية 1998.

والدفاع عنها، بكل الوسائل الممكنة، أمام أطماع حكومة إسرائيل في الاستيلاء عليها. وقد انتهى ذلك الصراع بانتصار إرادة أهل القرية جميعهم ونجاحهم بأدواتهم البسيطة في أن يُخرِجوا الجرّافات الإسرائيلية من الأرض بالقوة"[124].

الاهتمام بالشعب:

كتب القاسم عن الشعب الفلسطيني المجروح، وحزن لحزنه، وتفاءل بتفاؤله، وعكس في كتاباته صدق الانتماء بأبعاده المختلفة. يقول الصواف في ذلك: "وبعد، يمكننا أن نرى جزءًا لا بأس به مما سبق كله، في مرآة أكثر من نموذج قصصي، صدر داخل الوطن المحتل، في زمن الانتفاضة.. لكن أكثر هذه النماذج احتفالاً بموضوع الترانسفير، كان قصة قصيرة بعنوان وتكون لنا راية للقاص الفلسطيني نبيه القاسم"[125]. والقاسم نفسه يؤكد مدى ارتباطه بقضايا شعبه، وفي ذلك يقول: "لا ينكر أحد أنّ أكثر التحديات التي واجهها أبناء شعبنا منذ عام 1948 كان ولا يزال التصدي لكل المحاولات التي استهدفت سحق ملامحه القومية ووأد لغته العربية وطمس وتشويه تاريخه وتراثه"[126].

وبتتبعنا لكتابات القاسم نجد أنّ هموم هذا الشعب قد آلمته حتى بات الهمّ الجمعيّ همًّا شخصيًّا، فانبرى يعرض ألمه، ومشاعره، ورأيه، وفكره رغبة منه في كشف هذا الألم، والمساهمة، بالطرق المتاحة، برفع شأن هذا الشعب، وإسماع صوته وأنينه، من خلال بوّابة الأدب والفن. وفي استعراض خاطف لكتاباته وكتبه يمكننا أن نستدلّ على ذلك بشكل وافٍ[127].

---

[124] أبو شمسية 1998.

[125] الصواف 1997.

[126] القاسم 1996 (أ)، ص 143.

[127] انظر، على سبيل المثال: القاسم 1978، القاسم 1979، القاسم 1987(أ)، القاسم (ب)1987، القاسم 1989(أ)، القاسم 1991 (ب)، القاسم 1991 (د)، القاسم 1991 (هـ)، القاسم 1994(أ)، القاسم 1997، القاسم 2001، القاسم 2003 (ب)، القاسم 2011 (أ)، القاسم 2011 (ب).

الاهتمام بشأن المرأة:

وقد أولى القاسم الأدب النسوي اهتمامًا ملحوظًا، وكتب عنه كثيرًا، موسّعًا، بذلك، بقعة الضوء على النص والمؤلفة في آن واحد. وأكّد ذلك بقوله: "كانت المرأة من أقدم العصور ولا تزال عنصرا مهما في صنع الأدب. فإن لم يكن في المشاركة بالكتابة شعرًا أو نثرًا فبالتأثير على الرجل وإثارته للإبداع"[128]. وقد كتب القاسم عن العديدات من الأديبات الفلسطينيات والعربيات والعالميات متناولا إنتاجاتهن الأدبية، ومسيراتهن الإبداعية، ومنهن: في كتابه **إضاءة على الشعر الفلسطينيّ المحلّيّ**: نداء خوري التي تناول إبداعها بمقالة تحمل اسم "نداء خوري في أعلن لك صمتي"[129]، ولاحقًا في كتابه **هسهسة الكلمات**، بمقالة تحمل اسم "ملامح التميّز في إبداع نداء خوري"[130]،ومينا عليان، التي تناول إبداعها بمقالة تحمل اسم "مينا عليان وباكوراتها الشعرية"[131]، وليلى علوش، التي تناول إبداعها بمقالة تحمل اسم "ليلى علوش .. والأمل الموعود"[132]، وللي كرنيك، التي تناول إبداعها بمقالة تحمل اسم "مع أجنحة للي كرنيك المتكسّرة"[133]. وفي كتابه **المثقّف العربي في مواجهة الواقع**: عبلة الرويني، التي تناول إبداعها بمقالة تحمل اسم "ملحمة عبلة الرويني عن زوجها الشاعر الجنوبي أمل دنقل"[134]، وكوليت خوري، التي تناول كتابها **كيان** بمقالة تحمل اسم "كيان"[135]. وعفاف عبد الباري، التي تطرّق إلى إبداعها في كتابه في **الهمّ الثقافي** بمقالة تحمل اسم "عفاف عبد

[128] القاسم 2008، ص 127.

[129] القاسم 1987 (ب)، ص 140- 133.

[130] القاسم 2010 (أ)، ص 28- 15.

[131] القاسم 1987 (ب)، ص 148- 141.

[132] المصدر السابق، ص 155- 149.

[133] المصدر السابق، ص 160- 156.

[134] القاسم 1994 (ب)، ص 54- 44.

[135] المصدر السابق، ص 62- 55.

الباري كاتبة الأطفال الأولى في مصر"[136]، وكان في ذلك من رواد من عرض لإنتاجها الأدبيّ الذي اعتبر قسم كبير منه خارج دائرة ما يُعرف بالأدب الرسمي المعترف به[137]. وليانة بدر التي تناول إبداعها في كتابه **مراودة النصّ**، بمقالة تحمل اسم "أدب المرأة الفلسطينية- سحر خليفة وليانة بدر نموذجا"[138]، وفي كتابه **القصة الفلسطينية في مواجهة حزيران**، بمقالة تحمل اسم "ليانة بدر والنهار الذي سيأتي حتمًا"[139]. وفي كتابه **مواقف وآراء وأحلام**: حنان عوّاد، التي تناول إبداعها، بمقالة تحمل اسم "حنان عوّاد والأدب المقاوم"[140]، ودالية رابيكوفيتش، التي رثاها وعدد مناقبها بمقالة تحمل اسم "دالية رابيكوفيتش امرأة غير عادية"[141]، وفرنسواز ساغان، التي رثاها وأشار إلى النقاط الهامة في أدبها بمقالة تحمل اسم "فرنسواز ساغان وتلك الأيام الجميلة"[142]. وأحلام مستغانمي التي تناول إبداعها بمقالة تحمل اسم "أحلام مستغانمي وكسر تابو الرجل"[143]. وفي كتابه **في محراب الكلمة**: ليلى العثمان التي تناول إبداعها بمقالة تحمل اسم "ليلى العثمان: امرأة بلا قيود" عن دراسة محمد صفوري في أدب الكاتبة[144]، ومي زيادة التي تناول إبداعها بمقالة تحمل اسم "مي زيادة.. لا يقربها الموت" عن دراسة جوزيف زيدان شويري في أعمالها المجهولة[145]، ونجلاء شهوان التي تناول إبداعها بمقالة تحمل اسم "نجلاء شهوان تصرخ عاليًا: هذا زمن

---

[136] القاسم 1996 (أ)، ص 130- 128.

[137] للتوسّع، راجع: Snir 2000, pp. 263-285. وَ Cachia 1990.

[138] القاسم 2001، ص 63- 52.

[139] المصدر السابق، ص 70- 66.

[140] القاسم 2008، ص 130- 127.

[141] المصدر السابق، ص 166- 163.

[142] المصدر السابق، ص 172- 167.

[143] المصدر السابق، ص 34- 27.

[144] القاسم 2009، ص 80- 54.

[145] المصدر السابق، ص 113- 103.

الحبّ"[146]. وفي كتابه **ظلال الكلمات**: رجاء بكرية التي تناول إبداعها بمقالة تحمل اسم "جماليّات النص في قصص رجاء بكرية"[147]، وراوية بربارة التي تناول إبداعها بمقالة تحمل اسم "النصّ الجميل في **شقائق الأسيل** لراوية بربارة"[148]، وميسون أسدي التي تناول إبداعها بمقالة تحمل اسم "ميسون أسدي والوعد الأكيد"[149]، وسحر خليفة التي تناول كتاباتها في أكثر من مناسبة ونصّ، ليتوّج اهتمامه بكتاب كامل خصّصه لها ولدراساته حول إنتاجاتها يحمل اسم **سحر خليفة وصرختها العالية: لا**، وفيه يتناول بالبحث أدب المرأة الفلسطينية كمدخل عام، لينتقل إلى عدد من رواياتها المختلفة: **لم نعد جواري لكم، الصبّار، مذكرات امرأة غير واقعيّة، الميراث، صورة وأيقونة وعهد قديم، ربيع حارّ، أصل وفصل، حبّي الأوّل**[150]، وحنان الشيخ عن روايتها **حكايتي حكاية شرح يطول**[151]، ورجاء الصانع عن روايتها **بنات الرياض**[152]، وهيفاء بيطار عن روايتها **امرأة من طابقَين**[153]، **وَأفراح صغيرة أفراح كبيرة**[154]، وعن هيلدا إسماعيل في دراسة عن شعرها في ديوانها **امرأة تندف شعرًا**[155]. بهذا الاهتمام يشير القاسم دور المرأة في حلبة الأدب كمساهمة فعّالة؛ رافضًا أن يكون هذا الأدب حكرًا على الرجل وحده.

---

[146] المصدر السابق، ص 167- 160.

[147] القاسم 2010 (ب)، ص 24- 6.

[148] المصدر السابق، ص 35- 25.

[149] المصدر السابق، ص 116- 115.

[150] القاسم 2011 (أ).

[151] انظر: **القدس العربي** في 20.10.2005.

[152] انظر: **كل العرب** في 12.10.2005.

[153] انظر: **الاتحاد** في 25.5.2007.

[154] انظر: **الاتحاد** في 31.12.2010.

[155] انظر: **كل العرب** في 21.10.2005 وَ**القدس العربي** في 31.10.2005.

إجمال

القاسم لا يؤمن بالفراغ. فالأشياء عنده لم تأتِ من فراغ، ولا تؤول إلى فراغ أيضًا؛ وقد رأينا كيف تفاعلت الروافد المختلفة- مركبات القاسم المشترك في شخصيته في توليفة منسجمة سخّرت القدرات اللغوية والتعبيرية في خدمة تطلعات فكرية- وطنية- أدبية- ثقافية. ومن ثمّ، أتت هذه التجليات الموضوعة كتابة لتقوم بوظيفة، وتؤدي مهمات وواجبات نافية بذلك، مرة أخرى، إمكانية العبثية والفراغ؛ فالكتابة والأدب جاءا لأن لهما رسالة ومؤدًى ودورًا ينجزانها. هذا هو الأدب بنظر القاسم: فارس يحمل رسالة للناس؛ يتفاعلون معها وبها، فتدفعهم إلى التفكير والعمل. وفي ذلك يقول: "ونحن هنا- بقية الشعب ضحية- كنا وما زلنا أحوجَ الناس لكتاب ملتزمين بقضايانا اليومية، التزامًا إيجابيًّا، يهدف إلى تحسين أوضاعنا السياسية والاجتماعية والفكرية، التزامًا يجاهر بالحقيقة مهما كانت مؤلمة ومُسبّبة لأوجاع الرأس"[156].

هذه النظرة أيضًا لم تأتِ من فراغ؛ إذ أنها بمثابة تجسيد وتطبيق لما يراه علماء الاجتماع الوظيفيون في أنّ المركّب الاجتماعي موجود لأن له دورًا يؤديه، ووظيفة يقوم بها لسدّ حاجة اجتماعية ضرورية[157]. ويؤكّد أبو شمسية على هذا الدور بقوله: "إنّ قصص هذه المجموعة تعكس وعيًا أيديولوجيًا متقدمًا لدى القاص نبيه القاسم بطبيعة الأدب وبوظيفته أيضًا في الوقت ذاته. وهو وعي أملته عليه رؤيته النّقديّة العميقة لعلاقة الأدب بالمجتمع، وضرورة أن يُعبّر عن القيم التقدّمية والإنسانية التي يجب أن تسود. إنّ وعي الكاتب الحاد برسالة الأدب الواقعيّة، المبشرة بالقيم الاشتراكية التقدمية يدفع بالضّرورة إلى اهتمامه بالمضمون بأبعاده الفكرية والأخلاقيّة التي تناط بالأدب، وقد يكون ذلك في أغلب الأحيان على حساب الجودة الفنيّة والصّياغة الجمالية"[158].

---

[156] القاسم 2010 (أ)، ص 182- 181.

[157] انظر: قبطي 2009.

[158] أبو شمسية 1998.

ببليوغرافيا

باللغة العربية:

- أبو شمسيّة، عيسى. "وعي أيديولوجي متقدّما بطبيعة الأدب وبوظيفته". **أوراق ثقافيّة**، العدد 16 حزيران 1998.

أبو منّة، بطرس. منصور، جوني. **زيتونة الجليل**. حيفا: مطبعة كل شيء، 2005.

- حسن، شاكر فريد. "الحركة الشعرية الفلسطينية في بلادنا للدكتور نبيه القاسم". **الاتحاد** 5/8/2010.

- الخال، يوسف. **الأعمال الشعريّة الكاملة**. بيروت: دار العودة، 1979.

درويش، إبراهيم. "مع د. نبيه القاسم في دراسته حول الفن الروائي عند عبد الرحمن منيف". **القدس العربي** 21.11.2005.

- دلّة، بطرس. "مواقف وآراء وأحلام للدكتور نبيه القاسم". **الأخبار** 2.1.2009.

- دلّة، بطرس. "مع دراسة نبيه القاسم الفن الروائي عند عبد الرحمن منيف". **الاتحاد** 7.10.2010.

- الصوّاف، محمد. **الانتفاضة في أدب الوطن المحتلّ**. دمشق، 1997.

- العطشان، محمود. "في تحية نبيه القاسم". **الأسوار** عدد 13. 1992.

- علي طه، محمّد. **فسحة في حقل أخضر**. كفر قرع: دار الهدى للطباعة والنشر كريم قرع: دار الهدى للطباعة والنشر كريم، 2007.

- القاسم- أبو الريش، عالية. **مدارات**. (4). معهد الدراسات للتعددية الثقافية. كفر قرع: دار الهدى للطباعة والنشر كريم، 2010.

- القاسم، نبيه. **النصوص التحليلية**. القدس: مطبعة الشرق، 1972.

- القاسم، نبيه. **واقع الدروز في إسرائيل**. القدس: دار الأيتام الإسلامية، 1976.

- القاسم، نبيه. **ابتسمي يا قدس**. عكا: مؤسسة الأسوار، 1978.

- القاسم، نبيه. **دراسات في القصة المحلية**. عكا: مؤسسة الأسوار، 1979.

- القاسم، نبيه. **دراسات في الأدب الفلسطيني المحلّيّ**. (أ). عكا: مؤسسة الأسوار، 1987.

- القاسم، نبيه. **إضاءات على الشعر الفلسطيني المحلي**. (ب). شفاعمرو: دار المشرق، 1987.

- القاسم، نبيه. **القصة الفلسطينية في مواجهة حزيران**. (أ). شفاعمرو: دار المشرق، 1989.

- القاسم، نبيه. **ملاحظات في قواعد اللغة العربية**. (ب). الرامة: مطبعة الرامة، 1989.

- القاسم، نبيه. **نافذة على الأدب العربيّ الحديث**. (أ). الرامة: مطبعة الرامة، 1991.

- القاسم، نبيه. **هذا الزمن العربي**. (ب). الرامة: مطبعة الرامة، 1991.

- القاسم، نبيه. **لغز إخوان الصفا**. (ج). الرامة: مطبعة الرامة، 1991.

- القاسم، نبيه. **حركتنا الشعرية إلى أين؟**. (د). كفر قرع: دار الهدى للطباعة والنشر كريم، 1991.

- القاسم، نبيه. **في الرواية الفلسطينية**. (هـ). كفر قرع: دار الهدى للطباعة والنشر كريم، 1991.

- القاسم، نبيه. **الرواية التاريخية عند نجيب محفوظ**. سلسلة الثقافة. دائرة الثقافة العربية، 1993.

- القاسم، نبيه. **في الإبداع المسرحي الفلسطيني**. (أ). شفاعمرو: دار المشرق، 1994.

- القاسم، نبيه. **المثقف العربي في مواجهة الواقع**. (ب). شفاعمرو: دار المشرق، 1994.

- القاسم، نبيه. **الدروز في إسرائيل في البعد التاريخيّ والراهن**. حيفا: الوادي للطباعة والنشر، 1995.

- القاسم، نبيه. **في الهمّ الثقافي**. (أ). شفاعمرو: دار المشرق، 1996 .

- القاسم، نبيه. **دراسات في التراث العربي**. (ب). شفاعمرو: دار المشرق، 1996.

- القاسم، نبيه. **آه يا زمن**. عكا: مطبعة أبو رحمون، 1997.

- القاسم، نبيه. **مراودة النص**. شفاعمرو: دار المشرق، 2001.

- القاسم، نبيه. **موقف السيرة النبوية من التوراة واليهود**. (أ). عكا: مؤسسة الأسوار، 2003.

- القاسم، نبيه. **الحركة الشعرية الفلسطينية في بلادنا**. (ب). كفر قرع: دار الهدى للطباعة والنشر، 2003.

- القاسم، نبيه. **الفن الروائيّ عند عبد الرحمن منيف**. كفر قرع: دار الهدى للطباعة والنشر كريم، 2005.

- القاسم، نبيه. **محمّد علي طه مبدع راودته الكلمات. وراودها** كفر قرع: دار الهدى للطباعة والنشر كريم، 2007.

- القاسم، نبيه. **مواقف وآراء وأحلام**. كفر قرع: دار الهدى للطباعة والنشر كريم، 2008.

- القاسم، نبيه. **في محراب الكلمة**. كفر قرع: دار الهدى للطباعة والنشر كريم، 2009.

- القاسم، نبيه. **هسهسة الكلمات**. (أ). كفر قرع: دار الهدى للطباعة والنشر كريم، 2010.

- القاسم، نبيه. **ظلال الكلمات**. (ب). كفر قرع: دار الهدى للطباعة والنشر كريم، 2010.

- القاسم، نبيه. **سحر خليفة وصرختها العالية: لا**. (أ). كفر قرع: دار الهدى للطباعة والنشر كريم، 2011.

- القاسم، نبيه. **مواقف ومواجهات في حال الحركة الثقافية**. (ب). كفر قرع: دار الهدى للطباعة والنشر كريم، 2011.

- القاسم، نبيه. **الاتحاد**. 21.10.05.

- القاسم، نبيه. **الاتحاد**. 16.02.07.

- القاسم، نبيه. **الاتحاد**. 25.05.07.

- القاسم، نبيه. **الاتحاد**. 31.12.10.

- القاسم، نبيه. **القدس العربيّ**. 14.05.05.

- القاسم، نبيه. **القدس العربيّ**. 20.10.05.

- القاسم، نبيه. **القدس العربيّ**. 07.11.05.

- القاسم، نبيه. **القدس العربيّ**. 18.02.07.

- القاسم، نبيه. **كلّ العرب**. 29.04.05.

- القاسم، نبيه. **كلّ العرب**. 12.10.05.

- القاسم، نبيه. **المجلّة- لندن**. تشرين ثانٍ 2011.

- قبطي، مالك. **علم الاجتماع**. القدس: مطبعة الشرق، 2009.

- محمد، أنور. **موقف السيرة النبوية من اليهود والتوراة** للدكتور نبيه القاسم. **البيان** السعودية 2.5.2004.

- مظفر، حليمة. **المدار**. 23.6.2010.

- موسى، فاطمة. **مع كتاب الدكتور نبيه القاسم حركتنا الشعرية العربية الفلسطينية في بلادنا**. الرياض. 23 أكتوبر 2005.

باللغة الإنجليزيّة:

- Cachia, Pierre. 1990. *An Overview of Modern Arabic Literature*. Edinburgh: Edinburgh University Press.
- Snir, Reuven. 2000. "The Emergence of Science Fiction in Arabic literature," Berlin & New York, Walter de Gruyter. 77.2 (2000), pp. 263-285.